الفصل الرابع

صعود الأصولية المسيحية
بعد الحرب العالمية الثانية

بعد انسحابهم من المشهد العام، ظل الأصوليون مشغولين فى الجبهتين التعليمية والتنظيمية لحركتهم حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. لقد كانت تلك أيضًا مرحلة من البحث عن الروح، والتفكير الاستراتيجى والعمل التنظيمى. بعد محاكمة سكوپس، اكتسب العمل التنظيمى وتجنيد أعضاء جدد اهتمامًا مركزيًا لدى الأصوليين. كان ذلك لأن المحتوى الفكرى الضعيف الذى قدمته الحركة فى محاكمة سكوپس قد خلق خطر عدم انجذاب الجيل الجديد للأصولية. ولهذا فقد وجدت طرقًا وسبلاً لمواجهة الجماهير مباشرة دون مواجهة مع الليبرالية والعقلانية.

استغلالاً لحرية التعبير والحرية الدينية التى ضمنها الدستور العلمانى والديمقراطى للولايات المتحدة، أسس القادة المحافظون شبكات الراديو والتليفزيون الخاصة بهم من أجل بث البرامج الدينية. أصبح الملايين من المحافظين والأصوليين البروتستانت مشاهدين بشكل منتظم، ثم أعضاء، وأخيرًا من مانحى المعونات لتلك البرامج. كان من بين الوعاظ التليفزيونيين البارزين جيرى فالويل، وبيلى جراهام، وأورال روبيرتس، وپات روبرتسون، وجيمى سواجارت.

أظهرت دراسة فى عام ١٩٦٣م أن ١٢ فى المائة فقط من البروتستانت يشاهدون أو يستمعون بانتظام للبرامج الدينية المبثوثة.

وأظهرت استفتاءات جالوپ التى أجريت فى نهاية السبعينيات، أن تلك النسبة قد تضاعفت، وأظهر استفتاء آخر عام ١٩٨١م أن نسبة ٢٧ بالمائة من الجمهور العام يقول أنه شاهد أكثر من برنامج دينى واحد فى الشهر السابق. وفى عام ١٩٨٤م، أظهرت دراسة جالوپ وكلية أننبيرج للاتصالات، أن الجمهور الذى يشاهد البرامج الدينية بانتظام قد بلغ حوالى ١٣,٣ مليونًا[٩٤]. وطبقًا لمسح شامل أجرته كريستيانتى تودای

مع جالوپ ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م، أشار إليه چورچ مارسدن، أن هناك ما بين ٤٠ ـ ٥٠ مليون أمريكى قد صنفوا بوصفهم إيڤانجليكيين[٩٥]. ومع حلول عام ١٩٨٠م، تجاوز التوزيع السنوى لجريدة بيلى جراهام «القرار ـ Decision»، ٢٤ مليون نسخة[٩٦].

جلب هذا العدد الضخم من الأنصار ثقلاً ومكانة للوعاظ الأصوليين الذين يبثون برامجهم عبر التليفزيون، حيث حصل بيلى جراهام على لقائه الأول مع رئيس أمريكى خلال فترة حكم ترومان فى عام ١٩٥٠م[٩٧]. وبعد هذا اللقاء الأول، كانت تتم دعوته بشكل متكرر فى البيت الأبيض لمقابلة الرؤساء المتعاقبين: أيزنهاور وجونسون ونيكسون. على الرغم من ذلك، حتى الستينيات من القرن العشرين، التزم الأصوليون بسياسة عدم العمل السياسى[٩٨]. يعود هذا الإحياء للأصولية المسيحية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وتقدمها، للجهود جيدة التنظيم لقادتها وجماعاتها فى عدد من المجالات، مثل انتشار التعليم وتعزيز المستوى الفكرى للجماعة بشكل عام من خلال زرع ثقافة القراءة على نطاق واسع، واستخدام مذهب له شعبيته فى اجتذاب أعضاء جدد، وخلق شعور بالإلحاح الذى أدى إلى الوصول إلى ذروة التبشير. وسنشرح هذه النقاط تفصيلاً فى الأقسام التالية.

قرارات المحكمة العليا توقظ المارد النائم

على الرغم من أن الأصوليين كانوا قد التزموا بسياسة عدم الدخول فى عالم السياسة، فإن الأحداث التى جرت فى عقدى الستينيات والسبعينيات جعلت الكثيرين منهم يغيرون رأيهم. هزت التوترات الاجتماعية ونتائج المعارك القانونية البروتستانت والأصوليين حتى شعر قادتهم بأنهم مجبرون على خوض الساحة السياسية.

١ ـ قرار تطبيق الدمج العرقى: فى عام ١٩٥٤م، أصدرت المحكمة العليا قرارًا ضد المدارس التى تتبنى الفصل العنصرى، مطالبة المدارس العامة أن تفتح أبوابها للأقليات العرقية. وفى رد فعل لهذا المطلب، أسست العديد من الجماعات والكنائس الأصولية «الأكاديميات المسيحية» الخاصة بها، حيث يمكن، بشكل ظاهرى، «.. لأبناء المؤمنين أن يتلقوا تعليمهم فى إطار علوم (نظرية الخلق) [المتصور طبقًا للكتاب المقدس] والقيم

التقليدية»[٩٩]. حققت تلك الأكاديميات أيضًا أجندة الفصل العنصرى بشكل خفى، حيث كان يتم قبول الطلاب البيض فقط. لقد تمتعت تلك الأكاديميات بوضع الإعفاء الضريبى. ثم فى عام ١٩٦٤م، مرر الكونجرس قانون الحقوق المدنية. لقد أعلن ذلك القانون أن عملية الفصل العنصرى غير قانونية وطالب بدلاً من ذلك بالتكامل. وكان على الأكاديميات التى تريد وضع الإعفاء الضريبى أن تلتزم بمتطلبات قانون الحقوق المدنية.

٢ ـ قرار المحكمة العليا فى شأن الصلاة بالمدارس: فى عام ١٩٦٢م أنهى قرار المحكمة العليا الصلوات التى تدعمها المدرسة وقراءات الكتاب المقدس التعبدية، على أساس أنها تنتهك الفصل الدستورى بين الكنيسة والدولة. وقد أثار ذلك غضب الأصوليين[١٠٠].

٣ ـ قرار الإجهاض[١٠١]: فى عام ١٩٧٣م منحت المحكمة العليا النساء الحق فى الإجهاض.

٤ ـ عقدا الستينيات والسبعينيات العاصف: شهد عقدا الستينيات والسبعينيات حرب ڤيتنام، الفوضى الاجتماعية التى اتسمت بالعنف، ثقافة المخدرات، الثورة الجنسية، ووترجيت، وكلها هزت البلاد. «خلال عقد السبعينيات، ازداد معدل الطلاق بنسبة ٦٧٪. ازدادت الأسر التى أدارتها أمهات غير متزوجات بنسبة ٣٥٦٪. ومع نهاية هذا العقد، كان هناك نسبة ٢١٪ من الأسر التى بها أطفال تحت سن الثامنة عشرة ذات والد واحد»[١٠٢]. وقد أزعج هذا الوضع البروتستانت الذين شعروا بأن هناك خطأ ما فى المجتمع، وأنه بحاجة إلى إصلاح من خلال الفعالية الاجتماعية للتأثير على النظام السياسى الذى سمح بحدوث هذا الوضع.

نبهت تلك التطورات الأصوليين، الذين وجدوا أنفسهم تحت حصار من كل اتجاه. فبالإضافة إلى النكسات التى أصابتهم، شعروا بأنه فى ظل مد الحداثة، أخذت الأسس الأخلاقية للمجتمع الأمريكى فى التدهور: ثقافة المخدرات بين الشباب والثورة الجنسية والعنف العام، وبشكل خاص من قبل الشباب المتمرد داخل الحرم الجامعى وحرب ڤيتنام والفساد وسوء استغلال السلطة فى مناصب عليا ممثلة بفضائح

ووترجيت، كل ذلك قد أقنع الأصوليين بأن الوقت قد حان للوقوف ووضع الأمور فى موضعها الصحيح. بداية من ساحات القتال فى ڤيتنام إلى البيت الأبيض، حتى شئون الأسرة، كان كل شيء يدعوللإحباط. لقد أدرك معظم الناس تلك المشاكل، وعلى الرغم من ذلك فإن القيادة فى الكنائس البروتستانتية الرئيسية والكنيسة الكاثوليكية والطوائف اليهودية، كانت أكثر قلقًا بشأن إعادة توزيع الدخل والثروة والعدالة الاقتصادية[١٠٣]. لقد استنتج الأصوليون أن الليبرالية ذاتها كانت السبب الرئيسى لكل تلك المشاكل، وأن الوضع يمكن أن يتحسن فقط فى حالة استعادة القيم الأخلاقية التقليدية. وحيث إن الدولة كانت تدافع عن الليبرالية وتقوم بتطبيقها من خلال مختلف مؤسساتها، فإنه ينبغى ترويض الدولة من خلال السلطة السياسية. لقد كانت المحكمة العليا حالة واضحة فى هذا الشأن. لقد كان القضاة الليبراليون هم من يقومون بتفسير الدستور والقانون بشكل ليبرالى. لوكان القضاة من المحافظين، فلم يكن ذلك ليحدث. ولكن القضاة يقوم الرئيس بترشيحهم ويصدق الكونجرس على تعيينهم. وهكذا لتشكيل هيئة القضاة من قضاة محافظين، يلزم أن تستجيب السلطة التنفيذية والتشريعية لاهتمامات الأصولية، بل وتنظر إليها باحترام. والطريق الوحيد لضمان ذلك هوالدخول فى الساحة السياسية، ووضع الأجندة وتعبئة القوى فى النظام الديمقراطى، ومساعدة القائد الصحيح للوصول إلى مرحلة الانتخابات فى البيت الأبيض والكونجرس لإنجاز العمل.

استراتيجية الأصولية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية
إعادة تشكيل الجماعات، تجنيد الأعضاء، ووضع القوات موضع الاستعداد

بعد محاكمة سكوپس، ضعف موقف الأصوليين بشكل حاد وخسروا نفوذهم فى الكنائس الطائفية التى كانوا ينتمون إليها. «مع نهاية عقد العشرينيات، بدا أن الأصوليين قد هزموا وقلت أهميتهم وتراجع وضعهم. لم تفقد فقط الأصولية كل مواجهة خلقتها، ولكنها تعرضت واقعيا للسخرية بسبب ميلها للجمود الفكرى والظلامية بسبب أفعالها غير المتوازنة، من خلال توجهها لجذب ومنح الدعم للمعادين للسامية، والمعادين للكاثوليكية، والقوميين الآخرين والعناصر السياسية التى تنتمى

للجناح اليمينى، وبسبب تأكيدها على أن المسيحيين فقط يمكن أن يكونوا أمريكيين مائة بالمائة»[١٠٤]. وبعد محاكمة سكوپس واجه الأصوليون مشكلات مع كنائسهم. لقد كانوا كلهم من البروتستانت وينتمون إلى الكنائس الطائفية الرئيسية الضخمة، على سبيل المثال: حواريو المسيح، الكنائس المشيخية، الكنيسة الأسقفية، الكنيسة الموحدة للمسيح، المنهجيون المتحدون، الكنيسة اللوثرية فى أمريكا، الكنيسة الإصلاحية فى أمريكا، كنيسة اللوثريين الأمريكية، والمعمدانيون الأمريكيون، بين آخرين[١٠٥]. كانت المأساة تتمثل فى أن الكنائس الرئيسية لم تكن توافق على وجهات النظر المتجمدة للأصوليين. لقد حدث فى الجنوب فقط أن كان للأصوليين كنيستهم المعمدانية الجنوبية الخاصة، ولكن حتى فى تلك الكنيسة لم يكن هناك عدد من الأعضاء كما ينبغى أن يكون. لقد كان هناك أربع مشاكل متداخلة، إذا لم يتم التغلب عليها فى الحال، فقد تكون مهلكة لقضية الأصولية فى الولايات المتحدة:

* مشكلة الصورة.

* مشكلة الأغلبية غير المتعاطفة والنظام الاجتماعى.

* نقص القوة الفكرية بين الأصوليين للدفاع عن ومناصرة قضيتهم أمام أصدقائهم، جيرانهم، والمجتمع بشكل عام.

* وأخيراً التنافر مع دوائر السلطة.

كانت الحركة التى خضعت لسخرية واسعة فى البلاد من قبل الاتجاه العام لصناع الآراء ـ المفكرين، والأكاديميين، ورسامى الكاريكاتير، وسائل الإعلام، ورجال الدين ـ تحتاج فى ذلك الوقت لدعم فورى لكى تضمن بقاءها على الساحة. إذا سمح لصورتها السيئة أن تستمر، بدلاً من اجتذاب ملتزمين جدد، فإنها كانت ستبدأ فى خسران تابعيها أنفسهم، وأول من سينسحبون هم الأطفال والشباب الذين خضعوا لتأثير الصور الانطباعية عن الأصوليين وسخرية زملائهم.

لقد واجه الأصوليون ورطة أساسية فى تطوير رد فعل مناسب، فإذا تركوا الوضع على ما هو عليه، كانوا سيخسرون، ولكن إذا ما تحدوا النظام، فإنهم سيظلون خاسرين؛ لأنهم كانوا يشكلون مجتمعًا صغيراً غير منظم فى ذلك الوقت، بينما النظام

ككل كان غير متعاطف معهم. فى مثل تلك الظروف، للمرء أن يتوقع أن يكون رد فعل الجماعات الدينية المتطرفة عاطفيًا، متخذين الخط المتشدد، مظهرين رد فعل متطرف، والانتهاء بانهزام قضيتهم الخاصة. ولكن فى هذا الصدد، أظهر الأصوليون الأمريكيون مستوى عاليًا جدًا من النضوج، وتبنوا سياسة ترمى، ليس فقط لعدم تحدى النظام، ولكن فى الواقع أن يصبحوا جزءا منه واستخدامه لمصلحتهم.

لقد ركز الأصوليون انتباههم على أطفالهم. لقد انتابهم الخوف بأنهم إذا لم يتم تنشئتهم بشكل ملائم، فإن الهجوم الضارى لليبرالية سوف ينالهم. لقد أدركوا أيضًا أن الأطفال، إذا ما لقنوا مواعظ مملة وجافة طوال الوقت، فإنهم سيفقدون اهتمامهم بالپروتستانتية وسيتخلون عن الحركة حينما يكبرون. «ولكى يتفادوا هذا المأزق، بدأ قادة الإيڤانجليكية والأصولية فى البلاد بعقد اجتماعات ليلة السبت، والتى قدمت للناس خليطًا من التسلية الكلية، الحماسة الوطنية، والنصائح الإحيائية»[١٠٦]. بدأ جاك ويتزن قائد فريق نيويورك سيتى الموسيقى الذى تحول إلى قس، تلك الاجتماعات وبرنامجه الإذاعى فى الراديو «كلمة الحياة» عام ١٩٤٠م. لقد كانت تلك الاجتماعات تحظى بشعبية لدرجة أنها فى خلال أربع سنوات انتشرت إلى حوالى مائتى مدينة عبر الولايات المتحدة وأصبحت مظهرًا أسبوعيًا معتادًا.

ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، ورجوع القوات الأمريكية من الجبهة (لعبت القوة الأمريكية و«الأولاد»، (التعبير الشعبى المحبوب الذى أطلق على الجنود الأمريكيين الذين شاركوا فى الحرب) دورًا أساسيًا فى جلب النصر للأمة) كان هناك تيارات وطنية قوية عبر الأمة، والتى ولدت المشاعر الشعبية التالية[١٠٧]:

أولاً: كان الجميع يريد التعبير عن مشاعر النشوى والفرح. كان هناك مطلب قوى لإيجاد تعبير عام صريح يتضمن البيت والأسرة.

ثانيًا: كان هناك تقدير لفكرة السلام. ولقد استدعى ذلك التسلية التى يمكن أن يتشارك ويستمتع بها الجميع.

وأخيرًا: كان آلاف الجنود العائدين للوطن بعد نهاية الحرب يسعون إلى لحظات السلام مع التسلية والاستمتاع. اعتاد هؤلاء الجنود أن يتجولوا بلا هدف فى شوارع

المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاجو، إلخ. لقد وجدوا فرص المشاركة الصحية المسلية التى قدمها الأصوليون الذين استطاعوا تلبية بعض الحاجات الأصيلة للمجتمع الأمريكى، وبشكل خاص فى المراكز الحضرية الكبرى.

كان هناك بعض الوعاظ الإيڤانجليكيون الذين رأوا فى تلك المتطلبات فرصة لإحياء الأصولية من خلال تقديمها بصيغة شعبية من خلال صورة جديدة ومنقحة. استخدامًا للقاعدة الذهبية للتسويق ـ إذا جمعت بين منتجين لهما شعبية، يمكنك أن تخلق منتجًا شعبيًا ثالثًا ـ فقد قاموا بتطوير برامج ترفيهية ذات أفكار ضمنية من أجل هؤلاء الجنود، وقاموا بتجميلها بالرسائل الأصولية. قام أحد هؤلاء الوعاظ، «تورى جونسون» بتأجير قاعة الأوركيسترا فى شيكاجوالتى تتسع لثلاثة آلاف ومائتين مقعد، وجلب القس الشاب وواعظ الراديو بيلى جراهام، لمخاطبة التجمع الافتتاحى لـ«شباب شيكاجولاند من أجل المسيح» ـ (الشباب من أجل المسيح: Y F C)[١٠٨].

كان بيلى جراهام ضربة ناجحة بشكل واضح. استمرت الحركة واجتماعاتها الحاشدة فى التوسع بسبب شعبية تلك البرامج ورسالتها، وفى «يوليه عام ١٩٤٥م تقابل أكثر من ستمائة زعيم شاب من أمريكا الشمالية فى مركز مؤتمرات تابع للأصوليين فى بحيرة وينونا، وكوّنوا «منظمة الشباب العالمية من أجل المسيح»[١٠٩]. وتم انتخاب تورى جونسون رئيسًا لها، بينما اختير بيلى جراهام كممثل أول للمنظمة.

لقد انغمست المنظمة فى الشأن الوطنى، وبأخذ ملمح ذلك الزمان فى الحسبان، كان لها سطوة عظيمة. وفى يوم الذكرى الأولى فى عام ١٩٤٥م[١١٠]، والذى كان مناسبة أيضًا للاحتفال باستسلام الألمان، غنى نحو ٧٠,٠٠٠ من شباب المنظمة بالنشيد القومى فى شيكاجوفى ظل المئات من الأعلام المرفوعة. لقد أنشدوا أيضًا أغانى وطنية لتكريم جنود الحرب، حيث كان الكثيرون منهم يقفون ضمن الحشود[١١١]. كان من إحدى النقاط المهمة فى البرنامج صنع نوع ما من النزعة العاطفية التى قدمت للحشود لشراء سندات الحرب.

فى إطار هذه الممارسة الإحيائية، استخدم الأصوليون كل الوسائل الحديثة لجذب الانتباه وإنجاز الهدف بنجاح. كان قادة منظمة «الشباب من أجل المسيح» يرتدون

ملابس ملونة ومعاطف رياضية ، كما قدم الرياضيون، والقائمون على الترفيه ، والقادة المدنيون والعسكريون، برامج شيقة تهم عامة الناس، ولكن الرسالة الأساسية كانت متجذرة فى الفلسفة الأصولية . لقد بذلت كل الجهود لتقديم تلك الفلسفة فى شكل مجموعة متداخلة من الأفكار الحديثة الجذابة . لقد تم إنجاز ذلك بالاختيار العمدى لبعض الشعارات مثل «الحقيقة التقليدية للشباب الحديث» و«التكيف مع الزمن مع الالتزام بالدعامة الأساسية»، تلك الشعارات التى حملت معنى متضمنًا يفيد بأنهم حديثيون ولكنهم ليسوا دعاة للحداثة[١١٢] . من الألغاز المتعلقة بحكايات فى الكتاب المقدس، إلى ألعاب الساحر، إلى السيرك، كان كل جانب من جوانب الترفيه قد أخذ مسحة مسيحية، على سبيل المثال، «كان هناك حصان يمكن أن يسجد للصليب، وأن يضرب بقدميه اثنتى عشرة مرة حينما يسأل عن عدد رسل المسيح، وثلاث مرات حينما يسأل كم عدد الأشخاص الذين يشكلون الثالوث الأقدس»[١١٣] .

كانت الموعظة ذروة كل تلك التجمعات التى خلطت ما بين الشعور الوطنى مع الخطاب الأصولى . حتى بالنسبة للشباب الذين لم يكونوا متحمسين للغاية بشأن الأصولية أوكانوا غير مكترثين بها، فبعد كل سهرة ترفيهية كبيرة، كانت العظة بمثابة النهاية السعيدة، مع تذكرة مفيدة بواجب الإنسان نحو الله . وبزيارة الشباب لتلك التجمعات فى عطلة نهاية الأسبوع بشكل منتظم، كانت الرسالة الأصولية قد بدأت تغوص ببطء فى قلوبهم وعقولهم، بدون مجهود مدرك من جانبهم . لقد كان ذلك بمثابة نجاح عظيم للحركة . وفى هذا الإطار يلاحظ بيلى جراهام : «لقد استخدمنا كل الوسائل الحديثة لأسر اهتمام غير المهتدين للدين، ثم لكمناهم مباشرة بين أعينهم بالإنجيل»[١١٤] .

غمر هذا الاستعراض الحماسى والعاطفى للوطنية الذى قام به الأصوليون الأمة كلها، حتى إن وسائل الإعلام القومية، والتى قد عاملت الحركة فى الماضى كجماعة هامشية، قد حفلت فجأة بعبارات الإطراء عليها . كما أشادت الصحافة بالحركة باستفاضة بعناوين الأخبار والتغطية الكاملة لتلك الأحداث . فى فبراير ١٩٤٦م، كان مقال مجلة التايم حول جماعة «الشباب من أجل المسيح» ممهورة بتعليق الرئيس ترومان «هذا ما كنت آمل حدوثه فى أمريكا»[١١٥] .

لقد نجح الأصوليون أخيراً فى جعل الإعلام القومى أكثر اهتمامًا بهم بعد أن كان يحمل للأصولية مشاعر باردة منذ العشرينيات من القرن العشرين. وبمرور الوقت، أصبحت تلك التجمعات الحاشدة أكثر تأثيراً وشعبية، حتى إنه فى عام ١٩٤٧م كانوا ربما «يجتذبون مليونًا من الشباب كل أسبوع»[١١٦]. هؤلاء الملايين من الشباب المفعمين بالطاقة والديناميكية كانوا مخلصين لمثل عليا أخلاقية، وكانوا مستعدين لكى يتم اختيارهم فى قضايا سياسية. كذلك لعبت تلك التجمعات دوراً محورياً فى «.. محو أية مشاعر بالدونية ربما كانوا يضمرونها» فيما يتعلق بالاتجاه السائد فى أمريكا[١١٧].

ومع نهاية الأربعينيات، كان الديمقراطيون قد وصلوا إلى مدة عشرين عاما من الحكم غير المنقطع للبيت الأبيض، وهى المدة الأطول فى تاريخ الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت[١١٨]. خلال هذه الفترة كانت هناك مناسبات لم تمض الأمور فيها على نحو صحيح، سواء على المستوى المحلى أو الخارجى، حيث كانت ليبرالية الديمقراطيين أو سياستهم المتكيفة تجاه الشيوعية محل لوم. لقد عرف بيلى جراهام أن الأمة فى مرحلة ما بعد الحرب، مرحلة ما بعد الكساد، تحتاج للثقة بالنفس والأمل، ولهذا فإن «تأكيده الجرىء والواثق بأن منظمة المسيح النشطة، الخالقة للحرية، الباعثة على القوة هى الحل الذى حظى بإعجاب هائل». ومع عام ١٩٤٧م، بدأت التحذيرات ضد الشيوعية تصبح ملمحًا معتاداً لمواعظ جراهام. حيث لاحظ الانتشار السريع للأيديولوچية الإلحادية، أعلن أنه «ما لم تقم المسيحية بإنقاذ الأمم من سطوة عدم الإيمان، فإن أمريكا ستقف وحيدة ومنعزلة فى العالم»[١١٩]. وحينما جرّب الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٤٩م القنبلة الذرية، أعلن بيلى جراهام، متحدثًا أمام جمهور حاشد فى لوس أنچليس، أن هناك خطًا فاصلاً قد رسم بين الغرب المسيحى والعالم الشيوعى. لقد أعلن أن «الثقافة الغربية وثمارها، لها أسسها فى الكتاب المقدس، وكلمة الله، وفى الحركات الإحيائية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. على الجانب الآخر، الشيوعية قد نشأت على أساس ضد الله، ضد المسيح، ضد الكتاب المقدس، وضد كل الأديان. الشيوعية ليست فقط تفسيراً اقتصاديًا للحياة - إن الشيوعية هى ديانة ألهمها، ووجهها وحركها الشيطان ذاته، الذى أعلن الحرب على الله كلى

المقدرة». إن نيران تلك الحرب، قال لمستمعيه المشدوهين، ستقع مباشرة عليهم؛ لأن الشيوعيين كانوا «نشطين فى لوس أنچليس أكثر من أية مدينة أخرى فى أمريكا. . فى هذه اللحظة يمكننى أن أرى اليد الإلهية الحاكمة فوق لوس أنچليس. أرى أن قضاء الله أوشك أن يقع». إن السبب الوحيد وراء نجاة أمريكا من الخراب والدمار الناجمين عن الحرب العالمية الثانية، كما أعلن، كان بسبب «صلاة رجال الله، والأمل الوحيد الآن يكمن فى الندم والإحياء»[١٢٠].

لقد كان ذلك بمثابة نقطة تحول فى حياة جراهام العملية وأيضًا بالنسبة للحركة الأصولية برمتها. لقد كان هذا الخطاب بمثابة إعلان حرب على الشيوعية، كان خطابه ذلك ضد الحكومة أيضًا التى كانت بين أيدى الديمقراطيين منذ عام ١٩٣٢م، واتبعت منهج التكيف مع الشيوعية حول العالم. انحازت وسائل الإعلام، والجرائد والمجلات الكبرى المملوكة غالبًا للأثرياء وأصحاب النفوذ، الذين رأوا فى الشيوعية تهديدًا لثروتهم وسلطاتهم، فساروا فى ركب بيلى جراهام. لقد كان جراهام صانع العناوين الإخبارية فى البلاد، وهكذا أصبح محل اهتمام البلاد بأسرها. كان من المثير رؤية كيف أن الأصوليين بضربة واحدة استطاعوا اكتساب منزلة أخلاقية عالية، حيث أصبحوا أبطالاً لكلّ من أمريكا والمسيحية، وللرأسمالية أيضًا، لقد أتت الاستراتيچية البروتستانتية فى جعل الأصولية المسيحية مرادفًا للوطنية بثمارها أخيرا.

وبهذا الضوء المسلط عليه، أدار بيلى جراهام برنامجًا من خمسة أسابيع يتكون من صلوات ومحاضرات فى واشنطن دى. سى. عام ١٩٥٢م. لقد أطلق على هذا البرنامج «حملة واشنطن الصليبية». فى هذه الحملة «وعظ بتعبئة الأسلحة تقريبا فى كل صلاة، وقد جمع على درجات سلم مبنى الكابيتول (الكونجرس) بواشنطن[١٢١]، برغم الأمطار، عددًا من الجماهير وصل إلى أربعين ألفًا»[١٢٢].

حينما اقترح جراهام فى البداية فكرة الصلاة عند درجات سلم الكونجرس، قيل له أن ذلك أمر مستحيل، حيث إن هناك فصلاً بين الكنيسة والدولة فى الدستور الأمريكى. كان جراهام يهدف إلى هدم حائط الفصل ذاك خطوة إثر خطوة. وفى الخطوة الأولى، نجح فى الحصول على موافقة الكونجرس بالسماح له بعقد «الصلاة

الدينية الرسمية الأولى على أدراج الكابيتول»[١٢٣]. لقد كانت تلك الموافقة إشارة واضحة على أن المكانة الرفيعة والشعبية والقوة الناشئة لحركة الأصولية قد نجحت فى إنجاز فوز استراتيجى على حائط الفصل.

يتضح النفوذ المتزايد لجهود جراهام الرامية إلى تضييق هوة الفصل بين الكنيسة والدولة، من حقيقة أن حوالى ثلث أعضاء مجلس الشيوخ وربع أعضاء المجلس قد طلبوا مقاعد خاصة فى صلواته فى مبنى الكابيتول. وفى تلك الصلوات نجح جراهام فى تطوير علاقات صداقة مع ليندون جونسون وريتشارد نيكسون، اللذين أصبحا فيما بعد رؤساء. وبمساندة مثل تلك الشخصيات صاحبة النفوذ لجراهام، استطاع بسهولة أن يحصل على إذن لعقد جلسات الصلاة فى البنتاجون أيضًا. هذا الدعم المتنامى من قبل السياسيين، كان إما بسبب ورعه، أوبسبب أنهم شعروا أنه من الحصافة أن ومن المفيد لعملهم أن يتماثلوا مع شخصية جراهام.

كان موعد انعقاد الانتخابات الأمريكية فى عام ١٩٥٢م، وفى عام ١٩٥١م، أطلق جراهام وعيدًا صارخًا من منطلق قوة الناخبين الأصوليين. لقد قال «إن مسيحيى أمريكا لن يظلوا متعطلين خلال الحملة الرئاسية الانتخابية لعام ١٩٥٢م. (إنهم) سيذهبون للتصويت ككتلة واحدة لانتخاب من له برنامج انتخابى ذى أخلاق وروحانية أقوى، بغض النظر عن آرائه فى القضايا الأخرى. أعتقد أننا يمكننا أن نقبض على ميزان القوة. إن هذه الكتلة، كما أقترح، يمكن أن تبذل جهدًا منسقًا، حيث يمكن لأعضاء الكنيسة أن يتبعوا «تعليمات قادتهم الدينيين»[١٢٤].

فى الانتخابات الرئاسية لعام ١٩٥٢م، أراد الحزب الجمهورى ترشيح دوايت أيزنهاور الذى كان مترددًا[١٢٥]. من خلال المراسلات واللقاءات، استطاع جراهام بشكل قوى إقناع أيزنهاور بقبول العرض ودخول الحملة الرئاسية[١٢٦]. لقد نجح جراهام فى إقناع أيزنهاور، والباقى يعرفه التاريخ. لقد حدث خلال فترة إدارة أيزنهاور فى عام ١٩٥٤م، أن أضيفت كلمات «تحت الله ـ Under God» كعهد للولاء لعلم الولايات المتحدة[١٢٧]. على الرغم من ذلك، فيجب الاعتراف بأن أيزنهاور كان يتمتع بفهم أوسع كثيرًا للإيمان والدين فى سياق المجتمع الأمريكى والحكومة، حيث

أعلن، «إن حكومتنا لن يكون لها معنى ما لم تؤسس على شعور دينى عميق ـ ولا أهتم بما يكون»[١٢٨].

ولهذا، مع نهاية النصف الأول من القرن العشرين، كان بيلى جراهام وحلفاؤه قد استعادوا صورة الأصوليين، لقد تم التغلب على عائق النظام الاجتماعى غير المتعاطف، وأصبحت وسائل الإعلام حافلة بصور الإشادة بهم ومستعدة لإفراد عناوين الأخبار والتغطية الإخبارية فى وقت ذروة المشاهدة بشكل متكرر. كان يسعى السياسيون وراء أخذ بركاتهم، ولم تفتح فقط الدهاليز السياسية لهم، ولكنهم الآن أصبحوا مدعوين لهذه الدهاليز لكى ينعموا على أصحاب النفوذ بالبركات.

* * *